التدين في الإسلام بين التطرف وثقافة الوسطية

د. بن علي محمد

المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان، الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2018/01/28 تاريخ القبول: 2018/06/06 تاريخ النشر: 2018/06/30

ملخص:

ركزت هذه الدراسة على موضوع: ثقافة الاعتدال والتسامح ويرجع ذلك إلى تزايد ظاهرة العنف والتطرف، خاصة إذا اقترنت بالتدين، وأصبح الفهم الخاطئ لهذا الأخير هو المحرك لموجات العنف والتطرف، واليوم يشهد عالمنا مرحلة من الوهن عجز فيها عن تحويل الاختلاف إلى طاقة للإبداع. خاصة وأن التطرف– سياسيا واجتماعيا ودينيا- أصبح حقيقة لا يمكن تجاهلها، لذلك أصبح العمل على ترسيخ ثقافة الوسطية، أكثر من ضروري، كونها العنصر الأساسي في ترسيخ الاستقرار الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الدين، التدين، الوسطية، التطرف.

Abstract :

this study focused on the topic: Culture of moderation and tolerance This is due to the growing phenomenon of violence and extremism ,Especially if combined with religiosity, and the wrong understanding of the latter became the engine of waves of violence and extremism.

Today our world is witnessing a phase of debility.In which he was unable to transform the difference into energy for creativity. Especially since extremism - political, social and religious - has become a reality that cannot be ignored Therefore, the work of establishing a culture of moderation has become more than necessary ,Being a key element in establishing social stability

keywords: Religion, religiosity, moderation, extremism.

مقدمة:

ترمي محاولة البحث لاستعادة معالم الوسطية- فكرًا وسلوكًا- التي غيبتها سلوكيات لا تمت بصلة لهويتنا ومرجعيتنا. ومن جهة ثانية للكشف عن مزالق خطابات الإقصاء والعنف، التي تمثل المقابل العيني لغياب ثقافة الوسطية والتسامح، والتي تعمل على تعطيل وعرقلة حركية المجتمع وتطوره، لأن صاحبه أسير تفكيره المتصلب، الرافض لمبادئ التعايش السلمي مع الآخرين.

فرغم أهمية مفهوم الوسطية، إلا أنه عادة ما يرتبط بحثه بالإطار الديني، ولم يتم بحثه اجتماعيًا وثقافيًا وسياسيًا بعمق. علما أن عودة هذا المصطلح للمجال التداولي كانت في سياق" مواجهة " التطرف والعنف الذي أصبح نهجاً للعديد من الحركات الإسلامية في العقود الأخيرة، وعليه يمكن القول أن عودة المصطلح كانت مشحونة بالانشغال السياسي آنذاك.

واليوم يشهد عالمنا مرحلة من الوهن عجز فيها عن تحويل الاختلاف إلى طاقة للإبداع، خاصة وأن التطرف – سياسيًا واجتماعيًا ودينيًا- أصبح حقيقة لا يمكن تجاهلها، لذلك أصبح العمل من اجل ترسيخ ثقافة الوسطية، أكثر من ضروري كونها العنصر الأساسي في ترسيخ الاستقرار الاجتماعي.

إشكالية البحث:

كيف يمكننا بناء ثقافة الوسطية في ظل الواقع المأزوم؟

مفاهيم البحث:

1. مفهوم الدين:

- **لغة**: مشتق من الفعل الثلاثي: **(دان)**، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به، فإذا تعدى بنفسه يكون **(دانه)** بمعنى ملكه، وساسه، وقهره وحاسبه، وجازاه.

كما يعني يعني العادة أو الشأن، وقد يعني الطاعة والتعبد، ومنه جاء لفظ الدَّيّانُ، بمعنى الحكم أو القاضي، والدَّيّانُ اسم من أسماء الله[1].

- **اصطلاحا:** هو الخضوع والانقياد قبال برنامج أو مقررات معينة. ويقرب منه الطاعة والتعبد والمحكوميَّة والمقهوريَة والتسليم مقابل أمر أو حكم أو قانون أو جزاء[2]، فالدين عموماً هو عبارة عن استرضاء أو استمالة قوى تفوق قوة الإنسان يعتقد أنها توجه وتتحكم بسير أمور الطبيعة والحياة البشرية...وهو(الدين) يتشكل من عنصرين: العنصر النظري وهو الإيمان بالقوى العليا والعنصر العملي وهو محاولة إرضاء تلك القوى[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت،(ب، ت)، ص338.

[2] حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القران الكريم، مج3، مركز نشر آثار اللعلاّمة المصطفوي، طهران، إيران ط1385،1هـ، ص309- 312.

[3] جيمس فرايزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، تر، نايف الخواص، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2014، ص79

"فالإنسان مهما علا فكره وقوى عقله، أو ضعفت فطنته وانحطت فطرته، يجد نفسه انه مغلوب لقوة ارفع من قوته...وانه محكوم بإرادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم...فمنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها أو شدة ضررها، ومنهم من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور أثرها...ومنهم من تبدت له أثار قوى مختلفة في أنواع متفرقة تتماثل في أفراد النوع وتتخالف بتخالف الأنواع فجعل لكل نوع إلها"[1]

2. **مفهوم التدين:** هو التقيد والالتزام بالأوامر والنواهي التي من شأنها أن تبلور لنا رؤية خاصة، وموقفا معينا من الكون والحياة بصفة عامة"[2]. وهذا ما أشار إليه الدكتور عبد المجيد النجار، في كتاب "فقه التدين فهما وتنزيلا" بقوله: أما التدين فإنه بما هو كسب إنساني في تكييف الحياة بتعاليم الدين يتصف بالمحدودية والنسبية؛ ذلك لأن الإنسان في كسبه الديني يغالب عوائق الواقع المادية، متمثلة في شهوات النفس من جهة، وفي عناد البيئة الكونية في الاستجابة لمطالبه من جهة أخرى، فإذا هو يحقق في التدين قدراً من مطلوبات الدين، يتناسب مع ما يمضي فيه من الجهاد لترقية الذات، وتزكية المجتمع واستثمار الكون اقتراباً في ذلك من الله تعالى بما يبلغ من رضاه، ولكنه على أية حال لا يبلغ في تدينه تحقيق الدين الكامل، فإن طبيعته الذاتية وواقعه البيئي لا يسمحان ببلوغ تلك الدرجة، وقدره أن يكون كادحاً إلى ربه بالتنامي في التدين حتى يلاقيه في الدار الآخرة دون أن يبلغ من الدين مطلق الكمال.

3. مفهوم الثقافة:

- **المعنى الاشتقاقي:** تحيلنا الموسوعات والقواميس المتخصصة، إلى أن أصل الكلمة الفرنسية culture ينحدر من الكلمة اللاتينية .culture، والتي اشتقت بدورها من الجذر اللاتيني .colere، الذي تفرعت عنه ثلاث دلالات هي:culte، بمعنى العبادة والتقديس وكلمةcolunus، بمعنى اعمار الأرض، وكلمة cultura ، بمعنى حرث الأرض وزراعتها.

وفي أوائل العصور الحديثة بدأت تستعمل في الانجليزية والفرنسية بمدلوليها المادي والعقلي، مع إضافة الشيء المقصود تنميته (la culture du blé- la culture des lettres) . فلما كان القرن الثامن عشر اخذ الكتاب الفرنسيون...يطلقون هذه اللفظة إجمالا دون

[1] محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1994، ص98

[2] عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، سلسلة كتاب الأمة، العدد22.ج1

إضافة إلى شيء معين، وغدت(culture) بهذا المعنى المطلق تدل على تنمية العقل والذوق[1]. ورغم تنوع الدلالات إلاّ أن الاشتقاق الأخير بقى متداولا بشكل لافت وعمّ استعماله بفضل الكلمة القريبة منه (agri culture)[2].

أما قواميس اللغة العربية فتحيل القارئ إلى مجموعة من التعاريف لا تربطها صلة بما ذكرناه سابقا.بل هي ذات صلة بالمعنى المستحدث للكلمة والذي يفيد العناية بالإنسان بالتثقيف والتهذيب والتقويم والإصلاح...الخ

- **اصطلاحا:** الثقافة من وجهة النظر الانثروبولوجية، هي مجمل التراث الاجتماعي، أو هي أسلوب حياة المجتمع، وعلى ذلك فلكل شعب ثقافة، بمعنى أن له أنماط معينة من السلوك والتنظيم الداخلي لحياته، والتفكير والمعاملات التي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، والتي تناقلتها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي، وعن طريق الاتصال اللغوي والخبرة بشؤون الحياة والممارسة لها[3].

بينما يعرفها مالك بن نبي بأنها" المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته. فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر، وهكذا نرى هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان، وفلسفة الجماعة، أي معطيات المجتمع مع أخدنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد[4].

4. الوسطية:

- **لغة:** الوسط هو الذي تكون نسبة أحد الطرفين إليه كنسبته إلى الطرف الأخر. قال ابن منظور: وسط الشيء: ما بين طرفيه. ومنه أن كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، ويتجنبه بالتعريّ منه والبعد منه[5].

---

[1] قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، دراسة في ماهية الحضارة واحوالها وفي الواقع الحضاري، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981، ص33،38.

[2] عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص17.

[3] سامية حسن الساعاتي الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1983، ط2، ص27.

[4] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصابور شاهين وعمر المستكاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، (ب، ط)، 1979، ص83.

[5] ابن منظور، مرجع سابق، مج15، ص210 .

- **اصطلاحا:** تعني حالة محمودة تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط، أو هي التوازن والتعادل بين الطرفين بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما إتباع للأفضل والأعدل والأجود والأكمل".

5. ثقافة الوسطية:

تعني في ابسط تجلياتها، "التوازن" ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه.مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية، والفردية والجماعية والواقعية والمثالية والثبات والتغير، وما شابهها. ومعنى التوازن بينهما: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطي حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار"[1].

- التطرف:

- **لغة:** جاء في" لسان العرب "رجل طرف ومتطرّفٌ ومستطرف :لا يثبت على أمر[2].

- **اصطلاحا:** التطرف هو استجابة تنحرف سلبا أو إيجابا عن المتوسط، وهو يعني ما تجاوز حد الاعتدال، أو الانحراف عن المتوسط بالزيادة أو النقصان، وهو "يشير إلى الشدة أو المبالغة أو الصرامة أو الإفراط أو المغالاة والذهاب في أي موضوع أو في أي سلوك إلى أقصى الأطراف، أو الذهاب إلى أبعد الحدود أو الوصول إلى نهاية الطريق أو إلى نهاية الطرف الآخر، أو البلوغ إلى الدرجة القصوى في السلوك أو في الاتجاهات والعقائد والآراء والأفكار، واتخاذ أو انتهاج الإجراءات المتطرفة"[3].

ظاهرة التطرف ما هي إلا صورة من صور الرفض الاجتماعي والاحتجاج على غياب العدالة التوزيعية بصورها في نظام المجتمع، فالفكر المتطرف غالبا ما ينشأ في بيئة منعزلة لا تسمح بالحوار والتجديد، ولهذا يلجأ المتطرفون إلى شن حرب مدمرة على البناء السياسي الذي تعيش فيه الأفكار المقيدة لحريتهم، ولا تعطيهم الفرصة للتعبير عن أفكارهم ومشكلاتهم، ولهذا فالفكر المتطرف عنوان للاغتراب السياسي والاجتماعي. واليوم تجتاح العالم اليوم موجة من التطرف، وهو تطرف عملي سلوكي في معظم الأحوال، يعبر

---

[1] القرضاوي يوسف، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2011، ص13.

[2] ابن منظور، مرجع سابق. مادة: طرف

[3] كميلية عواج، التطرف الديني وأثره على التماسك الأسري، مذكرة ماجستير، 2011، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص27.

عن نفسه بأعمال عنف موجهة، إما ضد الدولة وأجهزتها ومؤسساتها، وإما ضد فئة من فئات المجتمع، ويحرك هذه الموجة أنواع من الدوافع والحوافز، بعضها عرقي وبعضها ديني، وهي في جميع الأحوال ذات علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي[1].

6. معالم الوسطية في النصوص الإسلامية المؤسسة(القرآن والسنة)

أ)- الوسطية في الخطاب القرآني.

اهتم الفكر الإسلامي، اهتماما كبيرا بالإنسان من جميع جوانبه بشمول وتكامل وتوازن، بحيث لا يطغى جانب على آخر، فالإنسان ليس تطورا طبيعيا بفضل تعقيد المادة وارتقائها، ولا هو تطور بيولوجي كما تشير النظرية التطورية، بل خلقه الله تعالى بقضائه وقدره، ووضع فيه آياته المعجزة.والإنسان بخصائصه المادية والروحية وحدة متكاملة، تحمل إمكانية العقل وإمكانية الاختيار وحرية الإرادة، ولذلك حملّه الله الأمانة والمسؤولية، قال تعالى: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**(الأحزاب، الآية:72).

يحمل القرآن الكريم، مفهوما متميزا عن طبيعة الإنسان وظيفته في الحياة، مفهوم يختلف عن أطروحات النظريات المادية والتطورية، قديما وحديثا، فالقرآن ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق لغاية، هي عبادته سبحانه وتعالى وإعمار الأرض، وتوجيه الحياة طبقا لأوامر الله.قال تعالى:" **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**(الذاريات، الآية:56)، فالناس مخلوقون وأن الله هو الذي أنشأ ذلك الخلق، فلم يخلقوه بأنفسهم، قال تعالى: "**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**" (الكهف، الآية:51)، وذلك يقتضي على البداهة والإنصاف، الاعتراف بسلطان أعلى قادر وحده على الخلق. والناس مخلوقون من نفس واحدة، هي نفس آدم عليه السلام.

وهذا يعني أنّه ليس لأحد من أبناء آدم، أن يدّعي الامتياز على أحد، لا من حيث الأصل التكويني، ولا من حيث الانتساب للقدرة الخالقة المصورة العليا، ووحدة الأصل الإنساني هذه يشترك فيها حتى الرسل والأنبياء، مع النّاس الذين أرسلوا إليهم، فكون

[1] كميلية عواج، المرجع والصفحة نفسها.

الرسول قد أوتيّ سلطانا لا يعني ذلك إخراجه عن إطار البشرية، وإنّما يعني فقط أنه قد صار بشرا رسولا، وإتّباعه حينئذ يكون واجبا على الآخرين لا لعنصره التكويني، ولكن إتباعا للمصدر الأعلى الذي اصطفاه، لأنّه لو كان هناك احتمال لوجود مصادر عليا أخرى تمنح السلطات والنبوءات لاختلط الأمر، ولا أمكن ألا ينعقد له تسليم. فإذا عرف الناس أصلهم التكويني، وأقرّوا بالسيادة العليا لمن له الخلق والأمر، وانعقدت أنفسهم على التسليم له بذلك، فتلك هي عقيدة الإسلام وأصل التوحيد، فالإتحاد من حيث الخلق التكويني في الأصل الإنساني الواحد. والإتحاد من حيث الموقف الإرادي، في الإيمان بالأصل المكون الواحد، والسعي في الاتجاه المسلم لأمر الله، كل ذلك يمثل رباطا بين الإنسان والله، وبين الإنسان والإنسان، ويكون أساسا للبناء الاجتماعي كله.

ولعلّ من دقائق المعاني التي ينبغي الانتباه إليها، أن آية التكريم من سورة الإسراء، جاءت في صيغة العموم، فالآية تشير إلى تكريم الله لبني أدم وليس لجماعة المؤمنين، أو لفئة معينة من الناس، فالتكريم هنا عام يشمل جميع البشر، وينسحب هذا المعنى إلى الماضي والحاضر والمستقبل، فالإنسان مكرم، بصرف النظر عن أصله ودينه وعقيدته، أو مركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعي، ولا يملك أحد أن يجرده من كرامته، التي أودعها الله في جبلته وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم وغير المسلم، فالكرامة البشرية حق مشاع يتمتع به الجميع دون استثناء، وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف.

ب)- الوسطية في السنة النبوية.

- البعد الإنساني في صحيفة المدينة.

تعتبر صحيفة المدينة[1] الناحية التاريخية، أول وثيقة سياسية دنيوية- في الحضارة الإسلامية- صيغت لأجل ترتيب العلاقات بين سكان المدينة، على اختلاف انتماءاتهم القبلية والدينية، وضعها الرسول وصاغها بنفسه، وهي من الوجهة القانونية، تعبر عن الدستور الذي اتفق أن تسير وفقه العلاقات داخل المدينة.لقد كانت الوثيقة بمثابة معاهدة يبن جميع بطون وعشائر يثرب، خاصة بعد اعتناق طائفة من الأوس والخزرج للإسلام، وبعد هجرة الصحابة وعيشهم في المدينة بجوار قبائل أخرى.

[1] ابن هشام، سيرة النبي(صلى الله عليه وسلم)،ج2، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط2،1995، ص125

وهذا ينسجم مع الدور الذي كان يرجى أن يلعبه النبي في المدينة، فغاية نظام الصحيفة ترتيب العيش في المدينة لجميع سكانها، وليس تدبير شؤون المسلمين فحسب[1].

لقد جاءت جميع بنود الصحيفة، قائمة على الاحترام الكامل، لسيادة وحدة البطون والعشائر، فالعشيرة كانت آنذاك تحوز على الشخصية المعنوية والحقوقية، التي تأهلها للدخل في تحالفات ومعاهدات، لهذا لم تكن الصحيفة عقدا بين أفراد، وإنما كانت بين وحدات قبلية، تحترم سيادتها بموجب العقد احتراما كاملا، فقد أقرّ النص بهذا الصدد، أن كل عشيرة تبقى على ربعتها[2]، يتعاقلون معاقله الأولى، وهي مسؤولة عن كل عقل أو فداء يطال أحد أفرادها، وفي نفس الوقت تقرر بنود الصحيفة مبدأ النصرة داخل كل وحدة قبلية.

إن الأمر الذي يستدعي الانتباه في بنود الصحيفة، هو أنها أجرت العرف القبلي على مجوعة المهاجرين من قريش، وهذا أمر بالغ الأهمية، فقد عومل المهاجرون على أنهم وحدة قبلية قرشية ودخلوا في المعاهدة على هذا الأساس، ومن هذا يتضح أن الرابطة الدينية كانت في هذه الفترة رابطة معنوية، لم تتطور بعد إلى لغة اجتماعية.

إن القراءة المتأنية لنصوص الوثيقة، تبين البعد الجماعي –الحقوق العامة- للحقوق، الذي ينعكس على الأفراد، كما تنعكس الواجبات أيضا، لأن المجتمع في نهاية المطاف، هو مجموع الأفراد الذين يتكون منهم، فيناله ما ينالهم من خير، ويقع عليهم ما يقع عليه من شر، ومع ذلك جاءت الوثيقة تراعي حقوقا وواجبات خاصة، لأطراف الوثيقة خصوصا اليهود، الذين دمجوا بموجب هذه الوثيقة في النسيج الاجتماعي العام، وأصبحوا يمارسون حياتهم الطبيعية دون تميز، يجري عليهم مايجري على سواهم، مع ضمان حرية تدينهم والمحافضة على أماكن عبادتهم، فلا يجوز لأحد اكراههم على اعتناق الدين الجديد-الاسلام-في مقابل ذلك تشترط الوثيقة عليهم، ألاّ يتحالفوا ضد الرسول صلى الله عليه وسلم أو ضد أي طرف من أطراف الوثيقة، وهذا البند كما هو ملاحظ يخدم مصلحة جميع الاطراف، ويحافظ على سلامة المدينة من أي عدوان

[1] الجابري محمد عابد، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، 2004، 92.
[2] ابن هشام، مرجع سابق، ص126

خارجي، كان يمكن أن يستغل حالة اللاتوافق بين مختلف مكونات المجتمع المديني آنذاك.

بالرجوع لنص الوثيقة، نستطيع الوقوف على أهم بنود الاتفاقية، وهي بنود راعت التركيبة الاجتماعية، لمجتمعات شبه الجزيرة العربية آنذاك، فالحياة الاجتماعية للعرب وقتها، كانت قائمة على العرف، أكثر من قيامها على القوانين المكتوبة، وهذا ماستثمره الرسول صلى الله عليه وسلم لتوطيد دعائم الدولة الاسلامية الناشئة آنذاك.

وهنا يجب تنبيه الدارس للوثيقة، أنه يجب أن تقرأ الوثيقة بلغة عصرها، لا بلغة عصرنا، فالوثيقة تعدّ بلغة فقهاء الدستور سبقا دستوريا[1] لامثيل له في تاريخ التشريع، خاصة وأنها تعرضت لمشكلات عويصة - ولاتزال الى يومنا هذا- مثل مشكلة المواطنة وتحقيق الانسجام، داخل مجتمع متعدد الإثنيات، فاعترفت للجميع بحق المواطنة، بشرط الإلتزام بالدفاع عن الدولة ومصالحها، وليس بشرط الإنتماء الديني، الذي لم تلزم الوثيقة به اليهود، ف"على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم حق النصرة، على من حارب أهل هذه الصحيفة"[2].

إن المواطنة متاحة لكل من طلبها والتحق بإقليم المدينة، وأدى الذي عليه، أمّا الذين رفضوا ذلك – وإن كانوا مسلمين – فليس على الدولة من التزام تجاههم، وهم بذلك، وإن كانوا جزأ من الأمة عقائديا، فهم خارج نطاق الدولة سياسيا.قال تعالى: **"إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"**(الأنفال، الآية:72).

لقد أعطى نص الصحيفة المعالم الكبرى لفكرة الدولة الاسلامية، فلقد أصبحت جميع العناصر التي عرّف بها الفكر السياسي مفهوم الدولة متوفرة.

- الشعب(المهاجرين، الانصار، القبائل المشاركة في التوقيع على الوثيقة).

-الإقليم الجغرافي، يثرب(المدينة المنورة فيما بعد).

[1] الغنوشي راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1993، ص95

[2] ابن هشام، مرجع سابق، ص129

- السلطة ممثلة في شخص النبي صلى اله عليه وسلم، باعتباره المرجعية العليا لفض المنازعات، فكل نزاع ينشب"بين أهل هذه الصحيفة، من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد جاءت صحيفة المدينة، متماشية مع نظرة الإسلام المتوازنة للإنسان، فهي تكفل حقوقه في توفير شروط الحياة الآمنة، داخل المجتمع الإنساني، وهي من جهة أخرى تحدد ما عليه من واجبات تجاه هذا المجتمع، وبهذا كانت الصحيفة الضامن الأساسي لتماسك المجتمع المديني آنذاك، حتى بعد أن نقض اليهود العهد وتمردوا على الوثيقة التي ارتضوا بنودها في البداية.

لهذا يمكن القول أن هذا النموذج المتوازن يمكن استثماره اليوم، وإعادة قراءته، قراءة معاصرة تتماشى وروح العصر وتقديمه لعالم اليوم، في وقت يغلب فيه الشطط والتطرف[1]، كما يغلب فيه الظلم والانتهازية، وسياسية الكيل بمكيالين، عند الحديث عن حقوق الإنسان، ذلك لأنّ حقوق الإنسان كما نصادفها في النصوص المؤسسة للرؤية الإسلامية لحقوق الإنسان- القرآن والسنة- ترتبط بفكرة الواجبات ولا تنعزل عنها، لأن ضمان الحقوق وحدها دون واجبات، تجعل من الإنسان مخلوقا أنانيا نفعيا، لا يبالي بحقوق الآخرين، طالما استطاع تحقيق مصالحه.

7. ملابسات تراجع الخطاب الوسطي ..تنظيرا وواقعا.

أ)- على المستوي الديني.

ترتبط ظاهرة التشدّد كما هو معلوم بالتعصب الأعمى والانغلاق الفكري وعدم قبول الرأي الأخر، الأمر الذي يؤدي إلي سلسلة لا متناهية من العنف المضاد، الذي يؤدي في النهاية إلى صراعات مدمرة داخل المجتمع، تعوقه عن تطوير ذاته[2]، كونه يلعب دورا خطيرا في التفرقة بين أفراد المجتمع وإثارة الصراع وبث الكراهية بينهم، سواء داخل الدين الواحد أو مع معتنقي الديانات الأخرى"[3].

---

[1] كامل شريف، حقوق الإنسان في صحيفة المدينة، أعمال الندوة العلمية:حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي،ج1، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض،2001، ص 66.

[2] محمد ياسر الخواجة، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،(دون التاريخ وطبعة)، ص1

[3] إبراهيم الحيدري،(2015) سوسيولوجيا العنف والإرهاب، بيروت لبنان، دار الساقي، ص102

والتطرف في المجال الديني يكون من خلال، "حالات الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها، قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو في الدين، والتعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم[1]. ويصبح هدفه الأسمى يتمحور في كيفية التمكين لفكرته وإقصاء ما سواها من الأفكار.

ب)- على المستوى الفكري.

تمثل ظاهرة الغلو والانتصار للرأي، جوهر الأزمة الفكرية التي عصفت بالأمة إلى وقتنا الراهن، وقسمتها إلى فرق متنازعة، يعمل كل منهما على إقصاء الآخر، وممارسة العديد من مظاهر العنف الفكري معه، عبر إسقاط كثير من دلالات ألفاظ التفسيق والتضليل عليه[2]. ففي تفسيره للآية 50 من سورة المائدة" أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ"، يقول سيد قطب:" إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص، فالجاهلية كما يصفها الله ويحددها قرآنه:هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر، وبالعبودية لهم من دون الله.إن الجاهلية- في ضوء هذا النص- ليست فتره من الزمان، ولكنها وضع من الأوضاع، هذا الوضع يوجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غدا، فيأخذ صفة الجاهلية المقابلة للإسلام"[3].

وبناءا عليه" اللذين لا يحكمون بما انزل الله هم الكافرون والظالمون والفاسقون، واللذين لا يقبلون حكم الله من المحكومين ما هم بمؤمنين"[4]، " إنها المعركة بين وجودين لا يمكن أن يكون بينهما تعايش أو سلام المعركة بين تجمعين عضويين كل منهما يقوم على قاعدة مناقضة تماما للقاعدة التي يقوم عليها التجمع الأخر، فالتجمع الجاهلي يقوم على قاعدة تعدد الآلهة أو تعدد الأرباب ومن ثم يدين العباد فيه للعباد، والتجمع الإسلامي

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الإرهاب التطرف من منظور علم الاجتماع، السويس، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص13-35

[2] زيد بن علي الفضيل، العنف في الخطاب الفكري وتداعياته، مجلة المسار، ع36، مركز التراث والبحوث اليمني، 2011. ص، 83-108.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1972، ط1، ص904

[4] المرجع نفسه، ص905

يقوم على قاعدة وحدانية الالوهيه ووحدانية الربوبية، وبالتالي لا يمكن، فيه دينونة العباد للعباد"[1].

خ)- على المستوى الاجتماعي

يتولد العنف من الحرمان النسبي الذي يفضي إلى التوتر الذي ينشأ عن التعارض بين ما ينبغي أن يكون وبين ما هو كائن بالفعل، فيما يتعلق بإشباع القيم الجماعية، الأمر الذي يدفع الأفراد إلى العنف[2]، ومن ناحية أخرى يلاحظ أن الشباب من أكثر الفئات انخراطا في العنف، بحكم التكوين النفسي والفسيولوجي مما جعلهم أكثر حساسية إزاء المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، وأكثر استعدادا بالخيالية والمثالية ورفض الواقع والسعي للاستجابة العنيفة لتغييره.

زيادة على ذلك تشكل بعض مظاهر الأزمة المجتمعية التي تعانيها المجتمعات العربية، مثل أزمة الهوية وغياب القدوة السلوكية، واهتزاز القيم والمعايير، وتزعزع الثقة في النظم والحكام، وتزايد الإحساس بالفراغ الفكري والثقافي، قوة دافعة لانخراط الشباب في الجماعات

والتنظيمات الإسلامية المتطرفة، التي تقدم بديلاً للإحساس بالأمن والهوية، ولرفع راية الرفض والاحتجاج ضد النظم والأوضاع القائمة.

إن طبيعة الأفكار المكوّنَة للسلوك العنيف لا تجد منبتها إلا وسط البيئة الاجتماعية التي تساعد على نمو هكذا سلوك، كالفقر والحرمان والبطالة وفقدان الأمل والرفض الاجتماعي، لذلك فالكثير من الدراسات والبحوث أكدت على أن المستوى المعيشي[3] والاقتصادي للإفراد يلعب دورا فعّالا في خلق السلوكات العنيفة لدى الأفراد، لأن الفرد يتأثر بالوضع المادي والاجتماعي، فكلما وجد نفسه محروما من تلبية حاجياته شعر بالضيق والتوتر والعجز، وهنا لا يجد أمامه إلا الخشونة في تعاملاته كتعبير عن عدم الرضا.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص2101

[2] علي إسماعيل مجاهد، تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع، نقلا عن: مركز الإعلام الأمني،www.policemc.gov.bh (البحرين).

[3] عزت حجاري، الشباب العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1985، ص132

د)- على المستوى الإعلامي.

إن الإعلام وسيلة للتبشير كما أنه مرآة عاكسة للمجتمع، وأهل الصنعة يعرفون أنه يؤدي وظيفة التبشير من خلال وسائل ثلاث هي: الأخبار، والتثقيف، والترويح، ولكي يؤدي دوره في الدعوة للوسطية فينبغي أن يلتزم بذلك النهج في تلك الدوائر الثلاث. ولأن الإعلام بتقدم فنونه وقوة تأثيره أصبح أحد العوامل المهمة في تشكيل إدراك الناس، فغني عن البيان أنه يمكن أن يسهم في إذكاء العنف والترويج له. كما أنه يمكن أن يساعد على إشاعة التسامح والاعتدال والوسطية[1].

والملاحظ اليوم أن المادة الإعلامية تسلعت وأعطت مفاهيم جديدة لموضوعات كنا نعتقد أنها لا تخضع لمبدأ النفعية، وهنا حدث التوتر بين المنطق النفعي للإعلام ومكونات الهوية الغير قابلة للتسليع. فالأجيال السابقة-مثلا- تربت على قاعدة أن الإعلام(التلفزيون بصورة خاصة) خادم للتربية والتوجيه وفق خطاب يخدم التماسك الاجتماعي، بينما أصبح إعلام اليوم خاضع وبشكل كلي لمنطق اقتصاد السوق الذي يعتمد على تسليع البرامج وفق منطق العرض والطلب، وتحت تأثير النفوذ المالي وأصحاب الإعلانات[2].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك ما يسمى بالثقافة السائبة، فإذا كان الفرد في الماضي يقف على أرضية صلبة وهو يتلقى ما تبثه القنوات- تكاد تكون قناة واحدة- ويسعى من خلال ذلك لتعزيز هويته، إلا أن المشاهد اليوم أصبح يتلقى المادة الإعلامية عبر أرضية لا يملكها ولم يساهم في صنعها.في ظل واقع أصبحت فيه الصورة في متناول كل الأفراد، بل وبإمكانهم إنتاجها أو فبركتها بواسطة الأجهزة الذكية المتاحة حاليا دون رقابة.

ومن ثم فمسألة تحقيق رسالة "الوسطية" في المجال الإعلامي مسألة معقدة، لأنها مرتبطة بأكثر من بعد سياسي وأخلاقي واجتماعي وفني وديني، لأنه إذا كان الإعلام متأثرا بالمناخ المحيط به، إلا أنه هو ذاته أيضا يصنع مناخا أو يؤجج من فعالياته أو يزيد من

[1] فهمي هويدي، (إعلام وثقافة الوسط،)، مؤتمر، الوسطية منهج حياة، وزارة الشؤن الإسلامية بالكويت، نقلا عن: www2.islam.gov.kw/books/wasatya/wsm3s3_hwedy.doc.

[2] نصر الدين لعياضي،(الهوية الوطنية والإعلام)، نقلا عن: https://www.youtube.com/watch?v=E_oWobWOeBE.

اندفاع موجاته وكذلك يمكنه من تحجيم اندفاعاته وتهذيب توجهاته وطرح البدائل العقلانية الرشيدة.

السؤال الذي ينبغي أن يطرح هو: إذا كان الإعلام قد وظّفه البعض لأغراض شريرة، فكيف مكن أن يوظفه الآخرون للأغراض النبيلة التي تسهم في البناء وليس الهدم؟

8. آليات إعادة بناء فكر الوسطية لتجاوز نزعات الغلو والتطرف.

الاهتمام بالأبعاد المتعددة لثقافة الإحسان والمودة والرحمة.

كم هو الإنسان المعاصر في حاجة لفكر يحيي ثقافة **الإحسان** ويرسخ مفهوم **الرحمة** باعتباره مفهوما تأسيسيا في مختلف الأديان، بعيدا عن الخطابات التشاؤمية الصدامية. وهذا يعني أننا أصبحنا في حاجة ملحة لما يمكن تسميته بالحوار التداولي من خلال مجموعة من الآليات التي تلازم المرء في مختلف مراحل حياته بداية من الأسرة مرورا بالمدرسة والجامعة وصولا إلى المجتمع ومؤسساته[1]، ولا نبالغ إذا قلنا أن أساس هذا الحوار يجد قاعدته في ثنائية **الإحسان الرحمة**، حيث تخضع هذه الثنائية لعلاقة جدلية تفاعلية يتواصل من خلالها المفهومان ذهابا ايابا، تأثيرا وتأثرا فتحيل الرحمة على الإحسان ويرمي بنا الإحسان في علاقات التراحم بين البشر. وتبدو الرحمة باعتبارها مدخلا تواصليا روحا تسري في كل مجالات الحياة والعمود الفقري الذي يوجه الإنسان فردا ومجموعات إذ بقدر ما يرسخ الإنسان في داخله الرحمة ضميرا وإنجاز، يتحرر من الأنانية ويقترب من مقام الألوهية كما يعبر عنها متصوفة مختلف الديانات[2].

والإحسان كما هو حال الرحمة ليس مجرد حالة نفسية عاطفية ظرفية تنتاب المرء في سياقات مخصوصة بل هو رؤية وتصور وشكل من أشكال الوعي بالذات وبالآخر، يكرس مفهوم العدل، وهذا يعني أن الإحسان والعدل وجهان لعملة واحدة أسا سها محبة الآخرين والعمل على إسعادهم. ورغم أن الدين دعا إلى المحبة والرحمة والإحسان، فإن الخطاب الديني يعد اليوم من اكبر روافد ثقافة الكراهية وأوهام الاستعلاء والإقصاء، الواقع الذي يصبح معه حتمية النظر في المنظومات التربوية والتعليمية والخطابات الدينية بنية ومضمونا وتطوير والإعلام أمرا ملحا.

---

[1] مبارك علي(2011) بحث في تداولية الخطاب الديني الرحمة والإحسان في تقاليد الأديان الإبراهيمية، مجلة أديان،ع1، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان،2011، ص 49-69

[2] المقال نفسه.

خاتمة:

ما نختم به هذه المساهمة هو ضرورة التأصيل لخطاب ديني وثقافي وإعلامي وتربوي يعتمد الوسطية منهجا، ويستلهم من تجارب علمائنا ومراجعنا تلك الروح التي حافظت على كيان هذه الأمة وتماسك هذا المجتمع في كل مراحل وجوده، رغم ما حيك ويحاك ضده من مكائد، وهذا لا يكون إلا بالعناية بتراثنا وتقديمه للأجيال الصاعدة، كي يكون لها صمام أمان يقيها من مزالق العبث والانزلاق وراء خطابات الفرقة والتعصب، لأن التجارب أثبتت أن المشكلة تبقى مع التدين، أي مع الأسلوب الذي يتعامل به المتدين مع الدين، وحين لا يفهم الأفراد الدين أو يسيئون استعماله لصالح عقدهم الانفعالية والسيكولوجية والروحية، وهنا لا يعد الدين في حد ذاته مريضا أو مرضيا بل ممارسته، لأن المبالغة في التدين هي التي تكون مرضية، ومن ثم يمكننا القول إن العلاقة الإيجابية ثابتة بين التدين المعتدل والصحة النفسية، وبالعكس تثبت العلاقة السلبية بين التدين المتطرف والصحة النفسية، ومن هنا فالمشكل ليس مع دين من الأديان، لكنه مع شكل من أشكال التدين في هذا الدين أو ذاك[1].

مراجع البحث:

القرآن الكريم.

1. ابن منظور، لسان العرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت،(ب، ت).
2. حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القران الكريم، مج3، مركز نشر آثار اللعلاّمة المصطفوي، طهران، ايران، ط1385،1هـ.
3. جيمس فرايزر، الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، تر، نايف الخواص، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2014.
4. محمد عبد، رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1994.
5. عبد الرزاق الداوي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1،2013.
6. سامية حسن الساعاتي(1983) الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 1983.
7. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصابور شاهين وعمر المستكاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، (ب، ط)، 1979.
8. القرضاوي يوسف، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2011.
9. كبيلية عواج، التطرف الديني وأثره على التماسك الأسري، مذكرة ماجستير،2011، جامعة الحاج لخضر، باتنة.
10. ابن هشام، سيرة النبي(صلى الله عليه وسلم)،ج2، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط2، 1995.
11. الجابري محمد عابد، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5، 2004.

[1] طيبي غماري، التدين والصحة النفسية في الجزائر: تبريرا للعلاقة الايجابية بين الإسلام وعلم النفس، مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق،ع1، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، كلية قطر للدراسات الإسلامية، جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر، 2014، ص65-86

12. الغنوشي راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1993.
13. كامل شريف، حقوق الإنسان في صحيفة المدينة، أعمال الندوة العلمية:حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي،ج1، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2001.
14. محمد ياسر الخواجة، التطرف الديني ومظاهره الفكرية والسلوكية، المغرب، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،(دون التاريخ وطبعة).
15. إبراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف والإرهاب، بيروت لبنان، دار الساقي، 2015.
16. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع،السويس، دار المعرفة الجامعية، السويس، 1997.
17. زيد بن علي الفضيل،"العنف في الخطاب الفكري وتداعياته"، مجلة المسار،ع36، مركز التراث والبحوث اليمني، 2011.
18. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط1، 1972
19. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1972،3.
20. علي إسماعيل مجاهد، تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع، نقلا عن: مركز الإعلام الأمني، www.policemc.gov.bh البحرين.
21. عزت حجاري، **الشباب العربي**، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1985.
22. فهمي هويدي، (إعلام وثقافة الوسط،)، مؤتمر، الوسطية منهج حياة، وزارة الشؤن الإسلامية بالكويت، نقلا عن: www2.islam.gov.kw/books/wasatya/wsm3s3_hwedy.doc.
23. نصر الدين لعياضي، (الهوية الوطنية والإعلام)، نقلا عن:
https://www.youtube.com/watch?v=E_oWobWOeBE
24. مبارك علي(2011) بحث في تداولية الخطاب الديني الرحمة والإحسان في تقاليد الأديان الإبراهيمية، مجلة أديان،ع1، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، 2011.
25. طيبي غاري، التدين والصحة النفسية في الجزائر: تبريرا للعلاقة الإيجابية بين الإسلام وعلم النفس، مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق،ع1، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، كلية قطر للدراسات الإسلامية، جامعة حمد بن خليفة، الدوحة، قطر، 2014، ص65-86